المرأة الجزائرية وأدوارها الانسانية خلال الثورة التحريرية الجزائرية 1954–1962

Algerian women and their humanitarian roles during the Algerian liberation revolution 1954-1962

أ.محمدي محمد

mohamed.mhamdi@univ-msila.dz

جامعة محمد بوضياف المسيلة

تاريخ الاستلام: 2019/06/05 تاريخ القبول للنشر: 2019/12/14

ملخص:

تروم هذه الدراسة التاريخية المتواضعة، محاولة جادة لتسليط الضوء التاريخي حول واحدة من القضايا والمسائل التاريخية والانسانية الهامة خلال مرحلة الثورة التحريرية الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي وهي الممتدة أطوارها من سنة 1954 إلى غاية 1962، إذ ترنو هذه الدراسة السعي في كشف الستار حول عديد الجهود والأدوار الانسانية والبطولية التي نهضت بها المرأة الجزائرية خلال هذه المرحلة الحاسمة بالنسبة للمسيرة التحررية الجزائرية، ويتعلق الأمر بمحاولة التعريف بمجمل الأدوار النضالية والكفاحية الانسانية التي أوكلت لهذه المرأة الجزائرية في مساندة ومؤازرة الرجل في معركته المصيرية التي تسعى إلى استرداد كرامته وكرامتها، و سواء كانت هذه المرأة (أما، أختاً، زوجة...الخ) فإن جهودها لصالح الثورة التحريرية كانت جبارة وبطولية، وبخاصة في ظل السياسات الاستعمارية الفرنسية التي باتت موجهة نحو هذه المرأة بصفة حصرية إما لفصلها عن الثورة ورجالاتها

أو القضاء على جميع أشكال المساعدات المقدمة من لدن هذه الاخيرة لصالح الثورة التحريرية.

الكلمات المفتاحية:

المرأة الجزائرية، الثورة التحريرية، الأدوار الانسانية، الاستعمار الفرنسي

Summary:

This simple historical study attempts to unveil the humanitarian tasks and roles that Algerian women have risen to confront the illegal French occupation of the sovereign Algerian state in 1830, And that is by revealing the most important humanitarian roles and actions that Algerian women have promoted during the stage of the Algerian liberation revolution 1954-1962; Especially in light of the French colonial policy that targeted Algerian women to separate them from the Algerian revolution, to make it easier for the French military to eliminate all forms of support that the latter provided in favor of the Algerian liberation struggle.

key words:

Algerian women, the editorial revolution, the humanitarian roles, French colonialism

مقدمة:

منذ الإعلان التاريخي عن نبأ اندلاع الثورة التحريرية الجزائرية في الفاتح نوفمبر 1954، واتساع رقعتها الجغرافية والاعلامية والدعائية في داخل البلاد كما في خارجها، فقد أصبحت السلطات الاستعمارية الفرنسية في الجزائر في موقف لا تحسد عليه، حتى أنها قد أصبحت ملزمة من أجل توظيف كامل إمكاناتها السياسية والعسكرية، بهدف القضاء على هذه الثورة وجميع تجلياتها وصورها التي باتت موضع قلق دائم بالنسبة للسلطات الاستعمارية، وبالانطلاق من هذا الواقع المتحامل على الثورة الجزائرية وانجازاتها الملحمية المتتالية، فقد أصبح المجتمع الجزائري بجميع أطيافه وتشكيلاته، هدفاً معلناً للسياسة الاستعمارية الفرنسية الرامية إلى القضاء على جميع المتسببين والمتواطئين، في المأساة التي تعيشها الحكومة الفرنسية والتي يتخبط فيها جزء كبير من المدنيين والعسكريين

الفرنسيين، وعليه فقد أصبح المجتمع الجزائري برمته عرضة للسياسة الفرنسية الهادفة لأجل القضاء على منابع الثورة وأصولها التحررية.

وانطلاقا من اعتبار المرأة الجزائرية، الخزان والوقود الرئيسي لهذه الثورة، فقد كانت هذه الأخيرة عرضة صريحة للسياسة الاستعمارية الفرنسية، مثلما هو الحال بالنسبة إلى أخيها الرجل المرابط في الجبال لمواجهة آلة الدمار الفرنسية؛ ومن هذا المنطلق ستحاول هذه الدراسة تسليط الضوء على مجمل الأدوار الانسانية التي نهضت بها المرأة الجزائرية خلال مرحلة الثورة التحريرية الجزائرية 1954-1962، تقيداً بالمحاور الآتي ذكرها:

1- ماهي مختلف أنماط السياسة الاستعمارية الفرنسية المنتهجة إزاء المرأة الجزائرية؟

2- ما هي أهم صور وتجليات الأدوار الإنسانية التي نهضت بها المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية؟

3- ما هي أهم اسهامات المرأة الجزائرية في المجال الطبي والصحي خلال الثورة التحريرية؟

1-السياسة الاستعمارية الفرنسية إزاء المرأة الجزائرية:

منذ اللحظات الأولى لوصول الغزاة الفرنسيين إلى الأرض الجزائرية، وسياستهم في البلاد تقوم على جملة من المناهج الاستئصالية الهادفة إلى القضاء الممنهج على الشخصية الجزائرية ومحاربة كافة العناصر والعوامل الحضارية المشكلة لها، من المقومات الأساسية التي تدخل في تكوين هذه الشخصية الجزائرية مثل عاملي اللغة العربية والدين الاسلامي، اللذين يعتبران من أهم المقومات الهوياتية التي تقوم عليها أسس الشخصية الجزائرية[1]، وقد تم التمهيد لهذه المهمة الاستعمارية بالمحاولات المتكررة للدمج الحضاري للأهالي الجزائريين في الحضارة الأوربية المزعومة التي حملت الصليب رمزاً للمدنية للساكنة الأصليين من المسلمين الجزائريين، أو العمل على تحييد الوطنيين الجزائريين على الأقل في هذه الحرب الحضارية المعلنة من قبل الفرنسيين ضد الهوية والشخصية الجزائرية على العموم.[2]

وسعياً من السلطات الاستعمارية الفرنسية إلى تحقيق هذا الهدف، فقد كانت الجهود منصبة على البحث المعمق والدراسات العلمية المتواصلة، التي استهدفت تشريح المجتمع الجزائري من الداخل أملاً في وصولهم إلى أسرار تماسك هؤلاء الجزائريين وحفاظهم على هويتهم، إذ وبعد جهود كبيرة توصل فريق من البحاثة والمنظرين الفرنسيين، إلى أن المرأة في هذا المجتمع تشكل الحلقة الأهم والدور المحوري في حفاظ هذا المجتمع على تمسكه وأصالته الهوياتية والحضارية، وعليه فقد اعتبر هؤلاء الباحثون أن المرأة الجزائرية في هذا المجتمع، تعتبر الحلقة المحورية في الحفاظ على استقرار الأسرة الجزائرية وحمايتها من أخطار ورياح التفسخ الحضاري التي تستهدف كينونتها.

فالمرأة الجزائرية كانت عماد الأسرة الجزائرية وأساس بنيانها واستمراريتها في وجه حملات التغريب التي شنتها السلطات الاستعمارية تجاه الجزائر بلدا وشعبا، كما نجد أن ذات المرأة الجزائرية قد نهضت بالعديد من الأدوار الحضارية والثورية الأساسية التي وقفت سداً منيعاً في مواجهة الحملات التشويهية التي استهدفت الأسرة الجزائرية بصفة عامة، ومن هذا المنطلق فإننا نجد أن أدوارها قد تباينت بين: تربية الناشئة الجزائرية من أبناء الوطن، والعمل على وتكوين وإعداد النخب والأجيال المستقبلية لهذه البلاد، وتطعيم هؤلاء الشباب من أبناء الجزائر بمبادئ الدين الاسلامي والخصال العربية الحميدة حماية لهم من جميع الأخطار والدسائس الدعائية والحضارية التي تترصدهم من السلطات الدعائية الفرنسية، هذه الأخيرة التي تهدف إلى زحزحة أبناء البلاد عن المسار الصحيح والزج بهم في أتون التفسخ والانحلال الخلقي، الوافد ضمن ملحقات الحملة العسكرية الفرنسية المعلنة على الجزائر.[3]

واستنادا إلى المكانة الحساسة التي حصلت عليها المرأة الجزائرية في عملية البناء الحضاري للمجتمع الجزائري خلال المرحلة الاستعمارية بصفة خاصة، فقد استهدفت هذه الأخيرة بالتضامن والتعاضد مع الدعاية المؤثرة للمنظرين والمفكرين من أتباع ومنتسبي المدرسة الكولونيالية، وكل ذلك من أجل المحاولات الهادفة إلى التشويه الممنهج

للمرأة الجزائرية، ومجابهة أدوارها ومكانتها المحورية في الحفاظ على هوية وتماسك المجتمع الجزائري العربي المسلم، اعتمادا على الترويج والتمكين للدعاية الاستعمارية المزيفة والأفكار الهدامة التي تستهدف بمخططاتها المرأة الجزائرية كعنصر أساسي في تكوين المجتمع، وهي المشاريع التي حاولت أن تجعل من المرأة الجزائرية، كياناً بشريا يعاني من الجمود والانغلاق جراء الحصار المفروض عليها من قبل قوى ومؤثرات خارجية، فهي في ظل كل ذلك عنصر سلبي رافض لجميع المشاريع الحضارية التي تسعى إلى إدماج هذه المرأة الجزائرية ضمن موجة المدنية الفرنسية، وهو ما عبر عنه المفكر الفرنسي "**لويس برتراند Louis Bertrand**" في مؤلفه "**على طرق الجنوب**"، من خلال وصف المرأة الجزائرية المسلمة التي تسعى إلى المحافظة على عفتها، بالأشباح التي تمشي في الليالي المظلمة، في قوله: «...**هن كالأشباح البيضاء تمشي تحت الجدران، وتتسرب في الأنهج المظلمة**»،[4] وهي السياسة التي أكدت مشروع تحامل استعماري فرنسي استهدف بخططه الجهنمية المرأة الجزائرية كعنصر أساسي له الوزن الحضاري في بناء هذا المجتمع، كما تساهم في الحفاظ عليه من جميع الأخطار الخارجية التي تتربص بأبنائه.

وفي ذات السياق؛ المتعلق بالأبعاد التفتيتية التشويهية التي استهدف المرأة الجزائرية ومكانتها في المجتمع الجزائري المسلم المحافظ[5]، يوضح المؤرخ المرحوم "أبو القاسم سعد الله" هذه السياسة الفرنسية القائمة على التحامل والتكالب ضد المرأة الجزائرية المسلمة، في محاولة من قبل السلطات الاستعمارية لأجل انتشال هذه الأخيرة من واقعها العربي المسلم، والإيقاع بها في مستنقع الرذيلة والتحرر الفاضح للثقافة الفرنسية غير المقيدة بوازع الأخلاق والدين[6]، والتي تتعارض في مبادئها مع القيم الأخلاقية والانسانية التي تميز المرأة الجزائرية عن نظيرتها من النساء الفرنسيات أو الأوربيات عامة؛ في القول: «**لقد أخذ الحديث عن المرأة في المجتمع الجزائري حيزا كبيرا في المناقشات والكتابات الفرنسية، وقد كان الجهل بالتقاليد الاجتماعية والتعاليم الإسلامية، مما أدى إلى**

وجود تفسيرات كثيرة وعديدة لوضعها وحالتها، فمنهم من تأسف على حالها ومنهم من وصف شقائها...، في حين وجدنا أن معظم الكتابات قد أرجعت ما آل إليه وضع هذه المرأة في المجتمع الجزائري إلى تعاليم الإسلام...».[7]

ولا أدل على اعتبار المرأة الجزائرية المسلمة هدفاً من الاهداف المعلنة للدعاية الاستعمارية الفرنسية، من الحملات الشعواء للدعاية الفرنسية التي تظهر في ظاهرها صورة ايجابية لهذه المرأة الجزائرية، وهي التي اعتبرت هذه المرأة عنصراً مضطهداً ومغلوباً على أمره في المجتمع الجزائري، وإظهار بالمقابل لجهود كبيرة من أجل إنقاذها من بيئتها المنغلقة على نفسها وتمكينها من أن تعيش حريتها الخاصة دون قيود أو شروط تكبلها وتحد من قدراتها، ولا أدل على هذه الحقائق التشويهية لصورة المرأة الجزائرية من سطحية الاهتمام بها من طرف الدعاية الاستعمارية الفرنسية، التي ركزت اهتمامها على لباس المرأة وأكلها وأعمالها...وغيرها من الفتات الذي لا يعبر عن حقيقة ما تعانيه المرأة الجزائرية من الواقع الاضطهادي للاستعمار الفرنسي.

وذلك هو المشروع الهدام الذي نبهنا إليه شيخ المؤرخين الجزائريين "أبو القاسم سعد الله" في قوله: «...**أن من الموضوعات التي شغلت هؤلاء الكتاب الفرنسيين في ما تعلق بالمرأة الجزائرية نجد أنهم تحدثوا؛ المرأة والعادات...، كما تحدثوا عن وضع المرأة الاجتماعي، وعن شكلها ولباسها وأعمالها وأوقات فراغها، كما اهتموا بما أسموه هم الحياة الريفية لها...».**[8]

ومما سبق التطرق له، نستطيع القول أن المرأة الجزائرية ومنذ الأيام الأولى للاحتلال الفرنسي على الجزائر سنة 1830، كانت الهدف الرئيسي للمخططات الدعائية الفرنسية والحملات التشويهية المعلنة من أجل محاربة هذه الأخيرة في صميم شخصيتها وهويتها، على اعتبار أن هذه الأخيرة تعد الركيزة الأساسية في بنيان هذا المجتمع والعامل الأساس في الحفاظ على هويته وأصالته، ومن أجل تحقيق ذلك كانت المشاريع الاستعمارية

متواصلة ومتعاقبة، من أجل تسهيل مهمة اختراق المجتمع الجزائري من الداخل، واستهدافا لتحطيم هوية هذه المرأة وتهديم قيمها ومبادئها العربية الاسلامية، لتكون المرأة الحلقة الأضعف ومعبر ولوج من الدعاية الفرنسية، لأجل تحطيم وتفتيت المبادئ الهوياتية الجزائرية عند المرأة الجزائرية.[9]

وفي ذات الاطار يمكننا القول، بأن السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر، قد اعتمدت على جملة من الأساليب الحربية والعسكرية من أجل السيطرة على ساكنة هذه البلاد وأهاليها، كما تم التركيز بالمقابل على أساليب موازية أكثر خبثاً وخطورة على هوية وتماسك هذا المجتمع الجزائري العربي المسلم، من خلال المحاربة والمواجهة الثقافية والحضارية المعلنة ضد هذا الشعب، وهو ما تجلى في إعلان الحرب تجاه الهوية والشخصية العربية المسلمة في شخصية المرأة الجزائرية، استهدافاً لمبادئها ومحاولة من السلطات الفرنسية لأجل القضاء على قيمها ومبادئها العربية الإسلامية، والسعي من أجل إلقائها في مستنقع الحيوانية واللاإنسانية التي ميزت الحضارة الأوربية الموهومة.

2–تجليات الأدوار الإنسانية للمرأة الجزائرية إبان الثورة التحريرية:

أجمعت الأبحاث والدراسات التاريخية المرتبطة بالمجتمع الجزائري وتطوراته خلال الفترة الاستعمارية 1830–1962، أنه وفي ظل السياسية الاستعمارية المنتهجة ضد المدنيين الجزائريين بصفة عامة، فإن المرأة الجزائرية قد نهضت بالعديد من الأدوار الريادية خلال الثورة التحريرية الجزائرية 1954–1962، وبخاصة ما تعلق بالمجالات الاجتماعية والثقافية وحتى الانسانية، أين اتضح أن المرأة الجزائرية كانت لها العديد من الأدوار البطولية خلال المسيرة الثورية التحررية، ولا أدل على هذه الاسهامات والبطولات التي نهضت بها المرأة الجزائرية، مما دونته لنا الكتابات التاريخية المختلفة كالكتابات الجزائرية أو حتى الأجنبية، والتي تظل مقصرةً بالمقارنة مع الأدوار الجهادية والبطولية للمرأة الجزائرية، خلال عديد المحطات من مراحل النضال التحرري طيلة مسيرة الكفاح التحرري المسلح ضد الاستعمار الفرنسي.

ومن ذلك تكون إشارتنا إلى الأدوار النضالية والكفاحية للمرأة الجزائرية أكثر من ضرورة، وذلك طيلة المرحلة الاستعمارية الممتدة من الاحتلال وإلى غاية اندلاع الثورة التحريرية 1830–1954، وهنا لا يمكن أن نتجاوز الجهود الفكرية والأدبية التي نهضت بها المرأة الجزائرية ضمن العديد من التنظيمات والهياكل الإصلاحية والإعلامية التابعة للحركة الاصلاحية الجزائرية، وهي التي عبرت وبوضوح عن خطها النضالي التحرري، كاشفة في الوقت ذاته عن الأدوار النضالية والكفاحية التي نهضت بها النساء الجزائريات، رفضا للواقع الاستعماري الفرنسي بهذه البلاد وانتصارا للأمة الجزائرية المسلمة عليها، ومن بين هذه الكتابات التي اتخذت من المرأة وجهودها حيزاً لاهتماماتها نذكر ما كتبته الأديبة "زهور ونيسي"، التي كتبت في جريدة البصائر عن واقع المرأة الجزائرية والجهود المبذولة من قبل الحركة الإصلاحية الجزائرية "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، من أجل إنقاذها من الخطر الذي باتت الدعاية الفرنسية تشكله على المرأة الجزائرية بصفة عامة؛ ومما كتبت الأديبة نذكر: «...**يجدر بالفتيات المتعلمات اليوم على الأخص، مداواة أدوائهن ومعالجة أمراض مجتمعهن، فهن نور بنات جنسهن الضئيل في هذه البلاد الفاقدة لنور الحياة...**».[10]

لتليها بعد الاندلاع التاريخي للثورة التحريرية الجزائرية، صور المشاركة البطولية لهذه المرأة الجزائرية المجاهدة في شتى أشكال العمل النضالي والتحرري ضد الواقع الاستعماري، وبالرغم أن هذا الحضور الذي شكلته المرأة الجزائرية في النضال الكفاحي خلال المرحلة الثورية، لم يكن ليتجلى على صورته الحقيقية منذ البدايات الأولى للثورة التحريرية، بالنظر إلى العديد من الظروف المحيطة بالكفاح التحرري منها السرية التي تميزت بها الثورة التحريرية، والطابع النضالي الداخلي لها الملتزم بمبادئ الفردية والكتمان، بالإضافة إلى طبيعة المجتمع الجزائري المحافظ الذي تدرج فيه المرأة كعنصر غير ظاهر، يفضل فيه إخفاء ومواراة دورها وبطولاتها خلف الرجل مهما كانت صلته بالنسبة للمرأة الجزائرية (أباً، زوجاً، أخاً).

وفي ظل طابع السرية والتكتم الذي ميز شخصية المرأة الجزائرية في المجتمع الجزائري، فقد أشار عديد الباحثين إلى أهمية الأدوار البطولية والانسانية للمرأة الجزائرية خلال مرحلة الثورة التحريرية، ولا أدل على هذه الإسهامات التي نهضت بها هذه المرأة لصالح العمل الثوري، والتي أشير أنها قد كانت تسير في شكل تصاعدي منذ بداية هذه الثورة وإلى غاية نهايتها، ومن المهام النضالية التي ألقيت على عاتق المرأة الجزائرية خلال المرحلة الثورية؛ نجد المهام الآتية: جمع التبرعات، جمع الاشتراكات، تحضير الطعام والتبرع به لصالح الثورة...، كل ذلك بالإضافة إلى العديد من المهام الانسانية الموازية الأخرى، والتي ساهمت بجهودها في إخراج الثورة التحريرية وأعمالها النضالية من المراحل الحساسة للمشروع الثوري التحرري المعلن من قبل الجزائريين، ومن صور هذه الجهود التي نهضت بها النساء الجزائريات لصالح الثورة الجزائرية نذكر: جمع التبرعات والهبات من طرف النساء الجزائريات اللائي اضطررن لبيع حليهن ومجوهراتهن، من أجل المساهمة في شراء الأدوية والأسلحة وباقي المستلزمات لصالح الثوار والمجاهدين الجزائريين، وبذلك فقد ظهرت جهود المرأة الجزائرية خلال الفترات الصعبة من عمر المسيرة التحررية.[11]

ومع تعاقب سنوات الثورة التحريرية الجزائرية، أضحت ملامح وصور نجاحات هذه الثورة بارزة للعيان بفضل من جهود ونضالات المرأة الجزائرية، وبفضل من بطولاتها الكفاحية التي اكتسحت جميع المجالات وغطت جميع الميادين، واستنادا من هذا الواقع فقد أضحى دور المرأة الجزائرية في العمل النضالي والثوري التحرري أكثر وضوحاً وأخطر مسؤولية، سيما في ظل الأدوار والمسؤوليات التي أسندت لهذه المرأة في الكثير من المجالات الاجتماعية والثقافية والانسانية...الخ، وبخاصة في الاقتناع لدى قادة الثورة بأن مشاركة المرأة الجزائرية في العمل النضالي والفدائي للثورة، سيكون من دون شك المفتاح السحري من أجل تحقيق العديد من الانتصارات والنجاحات الكفاحية في هذه المسيرة الثورية، شريطة أن تكون الاستفادة من مؤهلات وخبرات المرأة الجزائرية وقدراتها النضالية بطريقة ناجعة وذكية، وهو ما أشار إليه نص ميثاق مؤتمر الصومام 1962، في القول:

«توجد في الحركة النسائية إمكانيات واسعة تزداد وتكثر باضطراد، وإنا لنحي بإعجاب وتقدير ذلك المثال الباهر، الذي ضربته الشجاعة الثورية للفتيات والنساء والزوجات والأمهات...، ذلك المثال الذي تضربه جميع أخواتنا المجاهدات، اللائي يشاركن بنشاط كبير وبالسلاح أحيانا في الكفاح المقدس من أجل تحرير الوطن».[12]

وبالنظر إلى الأهمية؛ التي حازت عليها الأدوار المختلفة للمرأة الجزائرية طيلة المسيرة التحررية والنضالية ضد الواقع الاستعماري، استنادا لما حملته مجمل المواثيق والأدبيات الثورية والتحررية التي عرفتها الجزائر طيلة المسيرة الثورية، فقد اجتهدت الطليعة الثورية من النساء الجزائريات من أجل مضاعفة مجهوداتها النضالية والثورية لصالح المشروع الثوري الجزائري، وذلك من خلال النهوض بالعديد من الأدوار البطولية في المدن والأرياف الجزائرية، كما ساهمت هذه المرأة بمجهوداتها النضالية في دعم الكفاح الجزائري، هذا الذي قطع أشواطاً هامة في طريق تحقيق النصر على القوى الاستعمارية بفضل الجهود التي نهضت بها المرأة الثورية؛ ومن بين أشكال الأدوار التي ألقيت على عاتق المرأة الجزائرية الريفية، فقد ذكرت الدراسات التاريخية منها: طهي الطعام، غسل الملابس، الحراسة على المجاهدين، علاج الجرحى والمصابين...الخ.[13]

وبالإضافة إلى الأدوار البطولية والنضالية التي نهضت بها المرأة في أعماق الأرياف الجزائرية في الجبال وبين السهول والوديان، فإن للمرأة بالمدن الجزائرية نفس المهام والبطولات الكفاحية والتي بذلت من قبل النساء الجزائريات من أجل المساهمة، في الدفع بوتيرة الكفاح التحرري الثوري الذي يقوده الوطنيون الجزائريون ضد آلة البطش الاستعمارية، ومن بين المهام التي نهضت بها المرأة الجزائرية الثورية عبر مختلف المدن الجزائرية، نجد مهام: الإرشاد الاجتماعي، الطبابة، التمريض، مسبلة، فدائية، نقل الأخبار والمعلومات من وإلى المجاهدين...الخ، والعديد من المهام والأدوار الريادية الموازية التي

ساهمت في دفع الكفاح التحرري الجزائري، نحو تحقيق الغاية المنشودة منذ زمن طويل ويتعلق الأمر بإعلان الانتصار الفعلي على الاستعمار الفرنسي الجاثم على صدور الجزائريين منذ عقود طويلة من الزمن.[14]

3المرأة الجزائرية واسهاماتها في المجال الطبي إبان الثورة التحريرية:

لقد بادرت السلطات الاستعمارية الفرنسية منذ السنوات الأولى للثورة التحريرية الى توظيف العديد من الوسائل والبدائل المتاحة أمامها، من أجل القضاء على الثورة التحريرية كأولوية ومن ثمة تجفيف كافة أشكال المساعدة والدعم الطبي والصحي المقدم من طرف الثورة التحريرية لفائدة المدنيين الجزائريين بصفة عامة، أو حتى لصالح فئات محددة من جنود ومناضلي "جيش" و "جبهة.ت.و"، وذلك من خلال ممارسة التضييق والخناق المقنن على جميع منتسبي الطبابة الجزائرية خلال المرحلة الثورية، وجميع ما تعلق بالشق الطبي من المساعدين والممرضين والصيادلة الجزائريين، وفي ظل هذا الحصار الفرنسي الممارس من قبل السلطات الاستعمارية فقد كان خيار اللجوء الملزم من قبل قادة الثورة التحريرية الجزائرية، إلى الإمكانيات الخلاقة التي تحوزها المرأة والفتاة الجزائرية كبديل فعال للجهود التي قدمها الرجال في هذا المجال الحساس؛ وقد كان هذا التوجه نحو الامكانات التي تحوزها المرأة كخيار ملزم للتملص من السياسة التي شنتها السلطات الاستعمارية الفرنسية ضد الثورة الجزائرية، وبخاصة في المجالين الصحي والطبي، وذلك ما وضحه ميثاق مؤتمر الصومام في إشارة منه إلى ضرورة استغلال الطاقة الكامنة التي تحوزها المرأة الجزائرية في قوله :«... **توجد في الحركة النسائية إمكانيات واسعة تزداد وتكثر بإطراد...**».[15]

وفي سياق متصل؛ بالجهود التي ما فتئت تبذلها المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية، فقد أكدت الباحثة "أنيسة بركات" أن المرأة الجزائرية قد نهضت بالعديد من الأدوار الريادية والمصيرية خلال مرحلة الثورة التحريرية 1954-1962، ولا أدل على هذه الأدوار الهامة من مهام: طهي الطعام للمجاهدين، الحراسة من أجل ضمان أمن وسلامة

المجاهدين، غسل ملابس المجاهدين...إلخ، وبالإضافة إلى هذه الأدوار البطولية فإننا نجد أن دورها كان أكثر بروزا في المجالين الصحي والطبي خلال المرحلة الثورية بالمقارنة مع عديد الأدوار الأخرى التي نهضت بها المرأة الجزائرية خلال المرحلة الثورية.[16]

كما يشير العديد من الدارسين أيضا؛ أن من الأسباب والعوامل التي جعلت من المرأة عنصرا فاعلاً في المجالات السالفة الذكر، كما أنها قد أبلت فيها البلاء الحسن مقارنة بالمجالات والحقول الانسانية الأخرى، هي جملة من المميزات نذكر منها: الرقة، الرأفة، غريزة الأمومة...الخ، وغيرها من الخصائص والمميزات التي جعلت من المرأة عضوا وعنصرا مؤثرا في مجال الطب الثوري دون سواه من المجالات الانسانية والاجتماعية العديدة الأخرى.[17]

وفي نفس الاطار؛ المتعلق بالجهود التي بذلتها المرأة الجزائرية في المجال الطبي والصحي خلال مرحلة الثورة التحريرية، تجدر بنا الاشارة إلى مساهمة المرأة الريفية في هذا الجانب الإنساني من حياة المجاهدين الجزائريين في المناطق الجبلية والريفية بالولايات الداخلية الجزائرية، وذلك استنادا لكون جل هذه المعارك والاشتباكات العسكرية القائمة مع القوات الاستعمارية الفرنسية، تكون في أغلبها انطلاقا من مواقع المناطق الريفية والجبلية، وفي هذه المناطق نجد أن المرأة الجزائرية قد حملت على عاتقها مهام النهوض بالعديد من المصالح المختلفة لفائدة الثورة التحريرية وجميع منتسبيها من المجاهدين الجزائريين، ومن بين هذه المهام نذكر: مهام نقل الجرحى، معالجة المصابين، التكفل بالحالات المستعجلة للجرحى والمصابين من جنود "جيش.ت.و"[18]، وكل هذه المهام كانت في ظل الغياب أو شبه الانعدام بالنسبة للإمكانيات والوسائل الكفيلة بمساعدة وعلاج هؤلاء الجرحى والمصابين من المجاهدين الجزائريين في المناطق الريفية والجبلية من قبل المرأة الجزائرية بهذه الأماكن.[19]

وكغيرها من عديد المجالات والمهام الطبية الموازية التي نهضت بها المرأة الجزائرية في المدن أو الأرياف الجزائرية العميقة، فقد وقفنا أدوار ومهام أخرى أكثر خطورة نهضت بها المرأة

الجزائرية، والتي نذكر منها الجهود التي نهضت بها المرأة الجزائرية في مهام البحث عن الدواء وجهود تحصيله وإيصاله إلى مستحقيه من المجاهدين الجزائريين، وحول المخاطر التي تزامنت مع القيام بمثل هذه المهام من طرف النساء الجزائريات، تروي إحدى المجاهدات الجزائريات قصتها مع معاناة المرأة الثورية في سبيل الحصول على قطعة واحدة من الأدوية الموجهة لصالح علاج إخواننا المجاهدين الجزائريين، في قولها: «...**لقد كنا ندفع بالأطفال من أجل شراء نوع معين من الأدوية، لأنه لا يمكن لفرد واحد شراء كل هذه الكمية، وبعد إنهاء عملية الجمع والشراء؛ نقوم بإجراء اتصالات مع المجاهدين الجزائريين لتحديد أماكن محددة يكون فيها التسليم، ثم نقوم بإخراج الأدوية بحذر لتسليمها لهؤلاء المجاهدين في المكان المحدد سابقاً**».[20]

وبناء عليه نجد أن المرأة الجزائرية قد نهضت بالعديد من الأدوار الانسانية خلال الثورة التحريرية الجزائرية، وبخاصة في المجال الصحي والطبي لهذه الأخيرة أين قدمت المرأة الإضافة المرجوة منها في الوقت الذي شددت السلطات الاستعمارية من الخناق والحصار على المناضلين الجزائريين، وكادت لولا الجهود الجبارة التي نهضت بها هذه المرأة أن تخنق هذه الثورة وتتمكن من القضاء عليها بعد أشهر قليلة من بدايتها.

خاتمة:

وفي ختام هذه الدراسة، نستطيع القول بأن الأدوار النضالية التي نهضت بها المرأة خلال الثورة التحريرية الجزائرية، كانت أدواراً بطولية وانسانية تساوى فيها الرجال مع النساء في الذود عن هذا الوطن المفدى، من خلال العمل الموحد لأجل استرداد الكرامة والحرية المسلوبة من قبل الجزائريين والجزائريات، أين كانت للجهود التي بذلتها المرأة الجزائرية الأثر الجلي في الدفع قدماً بالوتيرة التحررية للثورة الجزائرية، وذلك بفضل من المهام والأدوار الجهادية والنضالية الانسانية والاجتماعية، التي ساهمت بفعاليتها في طرد

الاستعمار الفرنسي خاسئاً من على الأرض الجزائرية بعد 132 عاماً من الكفاح والنضال المستمرين بفضل جهود من الرجال والنساء من الأبناء البررة بهذه البلاد.

الهوامش:

[1]- أحمد مهساس: **الحركة الثورية في الجزائر من الحرب العالمية الأولى الى الثورة المسلحة**، تر: الحاج مسعود مسعود، محمد عباس، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2003، ص-ص، 27-28.

[2]- ريسلير كميل: **السياسة الثقافية الفرنسية بالجزائر أهدافها وحدودها 1830-1962**، تر: نذير طيار، ط1، دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني، الجزائر، 2016، ص 86.

[3]- محمد أزرقي فراد: **جزائريات صنعن التاريخ (الكاهنة وأخواتها)**، ط3، دار الأمل، الجزائر، 2015، ص-ص، 31،14.

[4]- زهير بن علي: **قضايا المرأة في اهتمامات الحركة الإصلاحية الجزائرية 1925-1954**، رسالة ماجستير، إ: سليمان قريري، قسم التاريخ، جامعة الحاج لخضر- باتنة، الجزائر، 2015/2014، ص125.

[5]- عثمان زقب: **السياسة الفرنسية في الجزائر 1830-1914(دراسة في الأساليب الإدارية)**، أطروحة دكتوراه، إ: صالح لميش، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة الحاج لخضر- باتنة، الجزائر، 2015/2014، ص241.

[6]- زهير بن علي: **المرجع السابق**، ص209.

[7]- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954**، ج06، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1998، ص337.

[8]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي...، ج06، **المرجع السابق**، ص383.

[9]- في هذه المسألة يذكر لنا المؤرخ "أبو القاسم سعد الله" رحمه الله بعض النماذج الحية عن جملة من النساء الجزائريات اللواتي تمكنت الدعاية الاستعمارية الفرنسية، من تحويلهن عن هويتهن العربية الإسلامية، والنجاح في تنصيرهن حتى أن الكثير من هؤلاء الجزائريات من تزوجن برجال فرنسيين عسكريين أو مدنيين، وأشهر قصة عن هؤلاء الجزائريات، ما ذكر شيخ المؤرخين في كتابه: "**قصة تنصير المرأة عائشة بنت محمد سنة 1834** "، وهي الحادثة التي أحدثت شرخا وانقساما حقيقياً في المجتمع الجزائري المحافظ؛ ينظر. أبو القاسم سعد الله: :تاريخ الجزائر الثقافي...، ج06، **المرجع السابق**، ص 386.

[10]- زهير بن علي: **المرجع السابق**، ص 211.

[11]- عبد الكريم بوصفصاف وآخرون: **القيم الفكرية والإنسانية للثورة التحريرية الجزائرية (1954-1962)**، ج1، منشورات مخبر الدراسات التاريخية، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2003، ص08.

[12]- وزارة الإعلام والثقافة: : **النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني(1954-1962)**، الجزائر، 1979، ص40.

[13]- فتيحة سيفو: **دور الريف في الغرب الجزائري في مسار الثورة التحريرية 1954-1958**، رسالة ماجستير، إ: قراوي نادية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أحمد بن بلة- وهران، الجزائر، 2010، ص87.

[14]- عبد الكريم بوصفصاف وآخرون: **المصدر السابق**، ص 11.

[15]- وزارة الإعلام والثقافة: **المصدر السابق**، ص 40.

[16]- محمد قنطاري: تضحيات وإيثار فاطمة، **مداخلة بالملتقى الوطني الثاني حول البعد الروحي في ثورة التحرير المباركة**، منشورات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، أكتوبر 2002، ص 176.

[17]- أنيسة بركات: **نضال المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية**، دار موفم للنشر، الجزائر، 2013، ص35.

[18]- فاروق بن عطية: **الأعمال الإنسانية أثناء حرب التحرير 1954-1962**، تر: عبد الرحمن كابوية، محمد سالم، منشورات دحلب، الجزائر، 2010، ص59.

[19]- عبد الكريم بوصفصاف وآخرون: **المصدر السابق** ، ص12.

[20]- خليفة الجنيدي: **حوار حول الثورة**، ج03، م. و. ت. ص. إ، الجزائر، د.ت، ص426.